

العنف الأسري: رؤية تربوية

أ.د لطيفة الكندري

latefaha@hotmail.com
<http://www//latefah.net>
@latefahalkander



ها هي ابنة لم تبلغ سن العشرين يقبلها والدها ويمسح بشفقة دموعها المنهمرة المتناثرة ويقول لها بصوت خافت حزين: اصبري على زوجك ولا تقولي للمحقق في المستشفى إنه اعتدى بالضرب عليك فالستر "زين"!! تقول البنت للمحقق: لقد سقطت من أعلى الدرج فجاءت الإصابات في وجهي والرضوض في جسمي! وهكذا يتكرر المشهد وتسقط الفتاة وتسقط معها قيم المحبة وتهاوى صروح الأسرة وتفتت دعائمها وتسود ممارسات العنف. وهكذا يُستدل الستار وتتردى الأوضاع، وتتفاقم الأمور، وتتعاظم المآسي. وهكذا تكون تربية القهر والتسلط والخنوع نهاية المشوار! هل هذا صبر أم تجرع للذل؟ هل الصبر يقود للسكون والخضوع والخنوع والرضا بالظلم؟ هل من حق الزوج تشويه وجه الزوجة، وتدمير مشاعرها باسم الرجولة أو القوامة؟ قالت



الفتاة بقلب مفطور وضلع مكسور: سقطت من أعلى الدرج...سقطت الفتاة عندما سقطت القيم، وفسدت الدم، وتهاوت الفضيلة لأننا تهاونا بالعمل بمبادئ الرحمة والحكمة والقانون!!

المرأة عندما تنحرف عن جادة الصواب تصبح سليطة اللسان عديمة الوجدان تتصرف برعونة وتهور وتتلطف بعبارات عنيفة تستفز زوجها وتغضب ربحا وتجلب ويالات الشر لمنزلها. ممارسة العنف سلوك ممقوت ممحوج مرفوض من الجنسين -الذكر والأنثى- في الشرق والغرب قديما وحديثا وليس من الحكمة تضخيم أو تعميم العلل الاجتماعية بل الحكمة تقتضي الوقاية منها وعلاجها على أسس تربوية رصينة ووفق تفسيرات نفسية ومقاربات فكرية تحمي الأسرة من العنف بكافة صوره اللفظية والرمزية والفعالية.

قد ننكر شيوع ممارسة العنف في مجتمعاتنا وقد نغفر ونستر وقد نتجاهل ولكن الحقيقى الدامغة أن العديد من النساء والأطفال والرجال أيضا يعانون من وبال هذه الظاهرة وتصطلي بناها النفوس والأرقام والإحصاءات تكشف طرفا من حقيقة الأزمة الأسرية. من الحكمة أن نتوقف قليلا عن الحديث عن العنف ضد المرأة في ديار



الغرب لأننا بذلك نتهرب من فحص واقعنا الذي أصابه النصب والضرر في مفاصله وتواصله. إننا أحيانا نرى القذي في عين غيرنا ولا ننظر للجدع في أعيننا وديارنا. العنف المنزلي خاصة والعدوان عموما مشكلة عالمية ومن الخطأ النظر لها على أنها مجرد مشكلة في أمة أو حضارة من الحضارات.

العنف (violence) اللفظي أو الرمزي أو الفعلي

سلوك ينطوي على مخاطر جسيمة وعواقب وخيمة توهن النفوس، وتضيع مصالح العباد، وتخطم المشاعر، وتدمر هيبة القوانين وتلغي القيم الأخلاقية المنبعثة منها والقائمة عليها. وقد يتحول العدوان (aggression) والعسف والعنف إلى ثقافة شعبية تغيب عنها شمس العدالة الاجتماعية فيتم تبريرها بل والدفاع عنها والولاء لها وحينئذ يستمر ظهورها وينتشر خطرهما. العنف تصرف مذموم يفسد العلاقات ويجلب المشاحنات وينتج من تربية خاطئة وتصورات منحرفة تستند إلى أن العنف يحل المشاكل والحق أنه لا يؤدي إلا إلى المزيد من مشكلات العنف، ويزيد نارها



اشتعالا ومرجلها غليانا. تلعب العوامل الاقتصادية والدينية والاجتماعية والنفسية والثقافة دورا حيويا في ظهور أو ضمور العنف الأسري. إن معالجة الأمور بالشدّة والتعامل مع الآخرين بالغلظة من أسوأ الأخلاق التي تظهر عند الأفراد والجماعات والدول والأمم والوقاية من آفة العنف حماية للفرد والأسرة والمجتمع وغاية حضارية تشتد ضرورتها مع تفشي هذه الظاهرة السيئة عالميا.

العنف الأسري (domestic violence)

هو التعدي الظاهر أو المستتر على أحد أفراد الأسرة وإلحاق الضرر به ماديا أو معنويا والتعامل معه على أساس الغلظة والإجبار والتعنت. إذا استمر العنف الأسري انكشمت المودة والرحمة وانحرف دور الأسرة وفقدت وظيفتها ولا قيام للأسرة إلا بالمعاشرة بالمعروف والحسنى. والضرب والغلظة والتعامل الوحشي مع الأهل والمجتمع لغة من لغات الغابة وهو أسلوب يستخدمه الخاسر اليأس ولا يزيد الأمور إلا تعقيدا، ولا يزيد المشاعر إلا تبداً.

ينشأ العنف عموما بسبب عوامل عديدة مترابطة ومعقدة ومتداخلة من مثل الإحباط أو الجهل أو هيمنة العادات السلبية، وحب السيطرة والجشع، والتدين الكاذب، وعجز الحياة الديمقراطية، وانعدام الحوار الإيجابي، وتعاطي الخمر والممنوعات، والتفكك الأسري، وضعف التنشئة الاجتماعية، والقذوة السلبية، وضعف المنظومة

القيمة وتدني الوازع الديني، وغياب تطبيق القوانين الجزائية والإعلام المشوه وسوء التدبير ونقص التدريب على مهارات الحياة لدى الفرد. إن انحسار هذه القيم الحضارية أو بعضها يولد معضلات جمة وبيئة محبطة مخنقة الحياة الطموحة وتسمح بنشوء علل نفسية واجتماعية كارثية.

التمادي في الغضب السافر أو المقنّع يجعل الإنسان كالمُرْجَل يغلي بالحقد والكراهة والعجلة وتحمله على الإضرار بالآخر وإن كان قريبا له عزيزا عليه. لهذا جاء الإسلام بتعاليمه السمحة وما فيها من أسرار ومعارف، وحكم ولطائف لبسط مظاهر الحب وبث المودة وقيم الحلم وكظم الغيظ والتعقل والرفق والسلام والتسامح لمواجهة سيول العنف بكل درجاتها وأشكالها وممارساتها وتبريراتها. إن تدريب الفرد على إدارة العواطف والتفكير المنهجي في تدبير الأمور من أفضل السبل التربوية للضبط الاجتماعي والوقاية من ممارسات العنف الأسري.

لا جدال أن العنف علاجه الحزم والحكمة واللطف. إن علاج ممارسات العنف ينبغي أن يكون مبكرا قبل أن يستفحل أمرها وذلك بتغيير القناعة السلبية التي تتصور أن العنف وراثية أو عادة لا يمكن التخلص منها أو أنها من مظاهر القوة والرجولة. هذه الأفكار المريضة الواهنة الواهية تعشش في أذهان ووجدان العديد من الأزواج وأولياء الأمور ولا مفر من تحطيمها وتفنيدها. إنها مواجهة ضرورية في مشوارنا ونحن محارب العنف الأسري. إن المنابر الدينية والوسائل الإعلامية ومؤسسات التعليم وجميع مؤسسات المجتمع المدني عليها أن تتحمل مسؤولياتها الحضارية في حماية الأسرة من الاستغلال والظلم والقهر لأن حماية الأسرة حماية للمجتمع بأسره.

صفات المعتدي:

- قد يكون وقع عليه الاعتداء في صغره.
- ضعف الوازع الديني.
- الغيرة المرضية (التلفونات، الدوام....).
- المزاجية.
- لوم الآخرين.
- عدم تحمل مسؤولية عنفه.
- استخدام أسلوب التسلط مع المعتدى عليه ويحدد له مسار سلوكه وتفكيره.
- التلذذ باستخدام العنف.
- يستخدم العنف اللفظي لإهانة الأفكار والتقليل من شأن الآخر.
- يجھش بالبكاء بعد الاعتداء ويستغرب من المعتدي عليه أنه مازال غاضبا.
- تحجيم القضية أو انكارها كلية.
- تقديم مبررات للاعتداء (دواء ، دوام، مرض).
- الازدواجية في الشخصية.

- الجهل بالعلاقة الإنسانية ودور الجنسين في الحياة (ملحة...)
 - قد يكون عنده مشكلة مع القوانين (ملف سوابق).
 - قد يتصرف بتصرفات مخيفة.
 - يمنع زوجته من تكوين صداقات وعلاقات اجتماعية بل قد يحرمها من زيارة الأهل واستكمال الدراسة.
 - عندما يقع العدوان يأخذ أنواعا عديدة (ضرب الوجه أو الأماكن التي لا تترك أثرا).
- إن المرأة الحكيمة لا تقع ضحية العنف بل تبذل جهدها في ردع العدوان بالحكمة والحزم ولا تبرر لأحد أن يقوم بالإضرار بها مهما كان مقامه أو مبرراته.
- التربية الحميدة توقظ الضمائر وتقي الإنسان شرور نفسه. إن الإنسان السادر يتجاوز حدود الحقائق إذا أبطره الغنى فيطغى ويظلم نفسه ويقوض أركان العدالة ويعتدي على أحبائه وينسف عرى القرابة والصداقة والإنسانية. والقصاص الهادفة من أروع الوسائل التعليمية لإحياء الضمير وتقوية إرادة الخير وتهذيب الإنسان وترغيبه بالتسامح وترهيبه من العنف. الخوف من الله سبحانه، واحترام القانون، وحب الناس، وتحمل المسؤولية أربعة دعائم يترتب عليها حياة الضمير. يحتاج الضمير الحي إلى حوارات أسرية مليئة بالعقلانية والمعاني الروحانية والثناء على السلام والحلم وإبراز القدوات المحلية والعالمية. الحوار غذاء للروح وإلا فإن النفوس الخاوية قاسية وإهمال الناشئة جريمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من آلام وجراح.
- إنها مسؤولية كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية أن تقدم للجيل الجديد صورة رائعة في حل المشكلات عبر الحوار العقلاني المتزن، والألفاظ الراقية، والمشاعر الدافئة، والتسامح الكريم، والطرق السلمية. بذلك الفعل السامي نكون قدوة حسنة للناشئة ونكون طبقنا عمليا تعاليم التربية الإسلامية السمحة ونكون أيضا قدما للإنسانية صفحة مضيئة من صفحات السلام والعرفان والإحسان.